

## الاتساق النصي عند عبد القاهر الجرجاني قراءة في ضوء لسانيات النص

د/ آسية متلف

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف (الجزائر)

### توطئة:

تمثل لسانيات النص اتجاهها حديث النشأة ، يهتم بدراسة النصوص من حيث البنية وعلاقات التناسق المتواجدة فيها، كما تركز على أهمية التوظيف الاتصالي للنصوص في إنتاج الإشارات اللغوية واستقبالها للفهم النصي .

إنه علم يرى النص وحدة لغوية كبرى يجتمع في تركيبه عدة وحدات جزئية من أدوات لغوية يحكمها الترابط والتماسك ووسائل وأنواع وإحالات مختلفة في سياق نصي يؤلف بين العبارتين أو الجملتين أو الفقرتين، أو عدة فقرات أو عدة فصول ليمنح بعد ذلك الخلفية لدى المتلقي حين تلقيه النص أو تحليله له، فموضوع لسانيات النص هو النص الذي يأخذ صفة الاستمرارية والتواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة له فهو هدف البحث ونقطة انطلاقه.

ويعد الاتساق النصي من المواضيع المهمة والأساسية في لسانيات النص التي أخذت على عاتقها البحث في حل العلاقات التي تضمن نصية النصوص إذ انتقلت من دراسة الجملة كوحدة لغوية كبرى تبنى عليها نظريات اللغة ومدارسها واتجاهاتها ، إلى دراسة النص باعتباره الصورة الحقيقية التي تجسد اللغة من جهة وباعتباره بنية منتظمة متسقة ومنسجمة تحتكم إلى علاقات معينة بين متتالياتها الجمالية التي تظهر المعنى بحيث تكون قابلة للقراءة والفهم والتأويل.

فالمتضمن فيما جاءت به لسانيات النص لتحديد مفهوم " الاتساق النصي " الذي يضمن تماسك النص والتحامه يجد أن نظرية النظم لعبد لقاهر الجرجاني هي القاعدة الأولى والأساسية التي انطلقت منها هذه النظريات اللغوية الغربية لأن هذا التشابه والتقاطع الكبير بين نظرية النظم السابقة واللسانيات النصية اللاحقة لا يمكن أن يكون محض الصدفة ، إذ تعتبر تطورا للنظرية العربية كما وضعها العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني .

— فهل هناك تداخل بين الاتساق النصي ومفهوم النظم عند الجرجاني؟

— ما هي طبيعة العلاقة التي تجمع الاتساق النصي في لسانيات النص الحديثة بنظرية النظم في التراث البلاغي القديم؟

**1\_ البلاغة ولسانيات النص:** تختلف لسانيات النص عن باقي العلوم المعيارية فهي " ليست مجموعة من القوانين الصارمة التي تطبق على النص من الخارج بل إنها تعني مجموعة من القوانين الاختيارية التي تستخلص من النص ذاته " <sup>1</sup>، فهي تترك للنص مسافة أكبر للذوب و الاستمرار فيما يضمن حرية الكاتب المؤلف الذي لا ينصاع لقوانين وقواعد تقيده.

إلا أن هذا لا ينفي تلك العلاقة المتحددة والمتقاربة بين لسانيات النص والبلاغة من حيث التعامل مع النص الأدبي ، فقد ساهمت البلاغة القديمة في قيام لسانيات النص وذلك بما قدمته من معارف ونظريات وقواعد ساهمت في تطورها ، فقد كانت "معينا للآراء والاقتراحات التي طرحت فيما بعد وبخاصة من خلال النظريات الحديثة ، فهي تضم الأفكار الجوهرية التي عنيت الدراسات النصية بالتوسع فيها ومن ثمة توجد جوانب اتفاق عدة بينها إلى حد يصعب معه إغفال الأثر حتى يكون درجة خفائه مرتفعة" <sup>2</sup>، فلا تتحقق نصية النص في أبنيتها اللغوية الخاصة التي تصرح عن دلالاتها المجازية التي تثبت هويته كنص بلاغي.

كما أمدت البلاغة العربية القديمة لسانيات النص بالكثير من الأفكار التي مهدت لظهور تحاليل نصية كانت نتاج " بحوث البلاغة القديمة فالبحث في ممارسة الخطاب ( الكلام) في البلاغة القديمة يضم عددا من النظريات والقواعد الخاصة بتنظيم نصوص محددة ، إذ استخدمت في المباحث المتعلقة بترتيب الأفكار وزخرفتها ، قواعد بناء محددة للنصوص لأهداف بلاغية محددة... " <sup>3</sup>.

فالممارسات تبقى قائمة على الرغم من اختلاف المصطلحات والمفاهيم وهذا ما يؤكد " محمد العيد" في قوله " فلم يألفوا في تنظيراتهم جمع تلك التحقيقات في مفهوم النص البنائي ، بيد أن القدماء من اللسانيين البلاغيين قد أتيح لهم —على الرغم من ذلك— أن يلاحظوا لتلك التحقيقات مقومات " نصية" جوهرية مشتركة ، فضلا عما لاحظوه لكل منها... <sup>4</sup> أي أن المفاهيم متداولة ولكن تبقى الاستعمالات للمصطلحات غائبة.

ويشير " فان ديك" إلى أن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة لكننا نؤثر مصطلح علم النص لأن كلمة بلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة ، كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع. <sup>5</sup>

فتحول البلاغة الجديدة إلى علم النص يرتبط بمدى قدرة البلاغة في الثقافات المختلفة على تكوين نموذج جديد لإنتاج الخطاب بكل أنماطه ، وظهور علم يدرس النص ويبحث في العلاقات الداخلية للنصوص ووظائفها الاجتماعية وما يميز هذه العلاقة ويوطدها أكثر هي اتجاه البلاغة نحو القارئ لتؤثر فيه ، هذا ما يضيف عليها خصوصية في البحث اللغوي النصي.

**2\_ مفهوم النص:** قبل الحديث عن التماسك النصي لابد من الإشارة إلى مفهوم النص وتحديده ، فقد كان النص موضوع البلاغة والأدب منذ القدم ، إلا أنه منذ منتصف القرن العشرين أصبح موضوعا لسانيا بامتياز ، وبعد تطور الدراسات الدلالية والتداولية و التلفظية بات "نسيجا من الكلمات يترابط بعضه ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك"<sup>6</sup> فهو بناء محكم بين المعاني النفسية والتراكيب اللغوية المتغيرة عنه في كل ملتحم ومترابط.

والنص عند عبد القاهر الجرجاني وحدة تتشكل من متواليات من الجمل مرتبة ترتيبا منطقيا من الكل إلى الجزء عن طريق آليات الاتساق والانسجام كالروابط التركيبية (أسماء الإشارة، الضمائر، الروابط ،...) والمعنوية (وحدات الفصول وترابطها ، تناسب اللفظ للمعنى، وتناسب الإيقاع لغرض الشاعر).

وتحدر بنا الإشارة إلى أن مفاهيم النص قد تعددت بتعدد التوجهات المعرفية والنظرية والمنهجية المختلفة وعليه فإن الاختلاف حول ماهية المصطلح يكمن أساسا في اختلاف التصور والغاية من الدراسة ، فحدود النص ونظريته ومفهومه يتجسد ويتبلور وفق تلك المنطلقات العديدة. فيعرف "برنكر" Brinker "تتابع مترابط من الجمل ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص ، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة<sup>7</sup> أو علامة استفهام أو علامة تعجب ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيا"، أما "شبلنر" فيصف النص بأنه تتابع وأن الجملة جزء منه<sup>8</sup> ، فالنص بنية معقدة متشابكة وثمة علاقة بين الجزء(الجملة) والكل(النص).

ولتحديد أدق لمفهوم النص حاولا الباحثان "هاليدي ورقية حسن" ضبطه إذ يقولان (...أي فقرة منطوقة أو مكتوبة على حد سواء مهما طال أو امتدت... هي نص... والنص وحدة اللغة المستعملة وليس محمدا بحجم، كما أنه يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبار... ولا شك أنه\_النص\_ يختلف عن الجملة في النوع، وأفضل نظرة إلى النص باعتباره وحدة دلالية، وهذه الوحدة لا يمكن اعتبارها شكلا لأنها معنى لذلك فإن النص الممثل بالعبار أو الجملة إنما

يتصل بالإدراك (الفهم) لا بالحجم...<sup>9</sup> ، إذ يمكن للنص أن يكون جملة واحدة أو امتداد من الجمل ، المهم أن يتوفر على مجموعة من الشروط الجوهرية :وهي الاتساق و الانسجام و التناس ، والقصد والقبول أو الاتصال و المقامية .

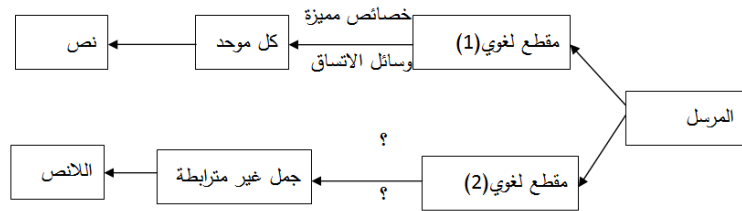
وستتوقف في هذه الدراسة بشيء من التفصيل عند مفهوم الاتساق النصي محاولين تتبع جذوره في التراث البلاغي القديم وخاصة عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز "

### 3- مفهوم الاتساق النصي:

**لغة:** من أوسق ويقال "الوسق أي ضم الشيء إلى الشيء...والطريق يأسق ويتسق أي ينظم، واتسق فالقمر: استوى ، واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه...ومنه فالاتساق هو الانتظام"<sup>10</sup>

تتفق معظم التعاريف المعجمية على جعل الاتساق ضم الشيء والانتظام والاجتماع والاستواء الحسن، ويقصد عادة بالاتساق "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"<sup>11</sup> ، فعلى محلل الخطاب أن يرصد الضمائر والإشارات المحلية إحالة قبلية أو بعدية مهتماً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة وهذا كله من أجل البرهنة على أن النص /الخطاب كل موحد.

زيادة على أنه ذلك: " الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة"<sup>12</sup> ، فحقيقة اللغة تتجسد في تضافر مجموعة من العناصر النحوية والجمل بعضها ببعض، حيث تتأزر التراكيب وتتلاحم جل العناصر لتشكّل وحدة متناسقة متسقة يصعب فصل أجزائها، فما يميّز النصّ واللائص في نظر الباحثين هو "الاتساق " الذي بات ضرورة حتمية يجب توفرها في النصوص، فمن أجل أن يشكل كل مقطع لغوي وحدة متكاملة يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها.



الشكل (1) 13

والملاحظ في هذا المخطط أن الاتساق هو شرط أساسي لتحديد هوية أي مقطع لغوي إن كان نصاً أم لا نص فالاتساق هو الذي يؤكد نصانية النص وغيابه يثبت تنافر الجمل وعدم ترابطها وهذا ما يُعبّر عنه القيرواني "إذا كان الكلام متنافراً متبايناً عسر حفظه وثقل على اللسان النطق به، ومحبة السامع، فلم يستقر فقيها منه شيء"<sup>14</sup>، فتناسق الكلام وتضامه هو ما يساعد على فهمه واستيعاب دلالاته، وهذا ما يؤكداه هاليداي ورقية حسن بقولهما "أن الاتساق هو مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"<sup>15</sup>.

فالوحدة الدلالية للنص تأتي من الاتساق الموجود بين الجمل التي يتكون منها، فكل جملة في النص تعطي نوعاً من الترابط مع الجملة التي تسبقها، والتي تلحقها فتحتوي كل جملة على رابط اتساق بالجملة التي تسبقها في النص من جهة والجملة التي تلحقها من جهة أخرى.

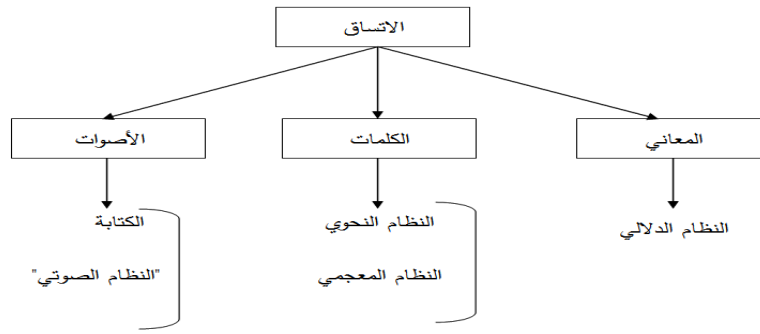
س → ص = علاقة قبلية

ص ← س = علاقة بعدية

ولتوضيح المفهوم أكثر يجب الإشارة إلى التقابل الحاصل بين المصطلحين الانسجام وCohésion والاتساق Cohérence .

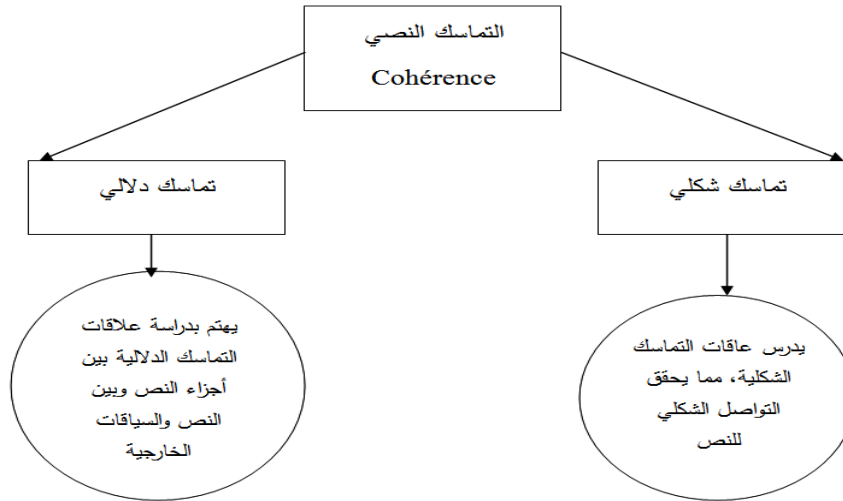
فالانسجام Cohérence أو الترابط الفكري أو الترابط المفهومي "يعني العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النص"<sup>16</sup>، أي تحديد موضوع النص ، فالنص المنسجم هو النصّ المستمر في دلالاته.

أما الاتساق: Cohésion يهتم بالبنى الشكلية والنحوية للجمل، حيث يظهر النص مجموعاً والاتساق يجسد لنا وحدة أفكار هذا المجموع، ويؤكد محمد خطابي أن الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فقط، وإنما يتم أيضاً في مستويات أخرى: كالنحو والمعجم "وهذا مرتبط بتصور الباحثين اللغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد /مستويات: الدلالة(المعاني) والنحو المعجم (الأشكال) والصوت والكتابة تتحقق كتعايير ، وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة"<sup>17</sup>



فكل هذه العوامل مهمة لوصف النص بحسن الرّصف والسّبك والتأليف على حد تعبير القدامى، وعليه فكل من الاتساق والانسجام مهم لتحقيق نصية النص، إذ لا يمكن نفي أحدهما للآخر فالاتساق لا يكفي لتكون لنا القدرة على فهم ما نقرأ، فمن السهل لما كان أن ننشئ نصاً محكماً به كثير من روابط الجمل، ولكن يصعب معها تفسير النص<sup>18</sup> وذلك لانعدام الانسجام وهذا ما يجعلنا نعتبر الاتساق "بنية شكلية تتميز بترتيب البنية الدلالية: تنظيم المعلومات معرفة الجديد من الأحداث في النصّ - تقديم الرسالة - موضوع النص موضوع الموضوع، التوازي الذي يعطي الحركية للنص والمأخوذة من هذه الطبقة الشكلية"<sup>19</sup>، فلا يتحقق الاتساق بمجرد ترابط الجمل على المستوى الشكلي، بل لابد له من عامل آخر يحدث ربط المعاني التي يحويها النص وهذا هو الانسجام

إلا أن مجموعة من الباحثين يؤكد على ضرورة التّحام كلا المصطلحين باعتبارهما تماسكاً نصياً، يقسّم هذا التماسك إلى تماسك شكلي وآخر دلالي.



## 4- أبعاد علاقة الاتساق النصي بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

استطاع العرب القدامى أن يكشفوا أسرار الظاهرة اللسانية، ما لم يهتد إليه الدارسون المحدثون إلا مؤخراً وهذا ما نستشفه من تلك المفاهيم اللسانية التي احتواها كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني كالنظم والتعليق والتأليف والاختيار والموضع... الخ ما نجد له مقابلاً صريحاً في الدراسات الغربية الحديثة على الرغم من هذا الفارق الزمني الكبير، وسيحدد عملنا في محاولة البحث عن جذور نظرية النظم التي باتت تقف جانباً إلى جنب مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، بل وتفوقها في مجال التراكيب اللغوية، وكأن هذه الدراسات الحديثة بنيت أساساً على نظرية النظم، لأن هذا التقاطع والتشابه الكبير بين نظرية النظم (السابقة) واللسانيات النصية (اللاحقة) لا يمكن أن يكون من محض الصدفة، إذ تعتبر تطويراً لهذه النظرية العربية كما وضعها اللغوي عبد القاهر الجرجاني.

النظم عبد القاهر الجرجاني "نظير النسخ والتأليف، والصياغة والبناء والوشي والتجوير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض"<sup>20</sup>، فقد تضافرت في هذا التعريف ستة عناصر يتم من خلالها بيان مدى اكتمال النظم ومدى تحقيقه للتماسك والتناسق، سواء على مستوى البناء السطحي أو العميق للخطاب، وإذا ما تم مراعاتها في تأليف الكلام تحقق ما يسمى في الدراسات اللسانية المعاصرة بالحيك والسبك باعتبارها نتائج لمراعاة نظم الكلمات وفق معانيها وما يقصده المتكلم منها يقول عبد القاهر الجرجاني: "فليس الغرض بنظم الكلام أن تواتر ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"<sup>21</sup>، وذلك بترتيب ألفاظها وتراكيبها وفق ترتيب معانيها المعنوية التي تصاغ في نسيج لغوي محكم الصياغة والتأليف انطلاقاً من الجملة البسيطة وصولاً إلى نظم البني في تراكيبه الصوتية والدلالية والنحوية والبلاغية والأسلوبية إنه "تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفاً خاصاً يسمح للمتكلم والسامع أن يرتقيا بفضل بديع التركيب إلى مدارك الإعجاز في الكلام، علماً بأن المعاني تملأ الكون وتعمر الفضاء، واختيار تركيب من التراكيب في النص كاختيار مسلك من المسالك في البر والبحر، وقد يؤدي بالسالك-أي المتكلم- إلا الوصول إلى الغاية التي يقصدها في برّ النجاة أو إلى الضلال والهلاك"<sup>22</sup> إنه عبارة عن تركيب لغوي على نحو فريد من التماثل والتجانس والتآلف في أجزاء الأسلوب ككل.

فالنص نسيج لغوي محكم البناء بين المعاني النفسية والتراكيب اللغوية المتغيرة ضمن كل متماسك، وهي نظرة مماثلة لما جاء به العالم الهولندي "فاندايك" في نظرية النسيج المتشابك

للنصّ، حيث "اعترض على القواعد الكلاسيكية في تحليل النصوص ودعا إلى الوقوف في تحليلها على آليات الإضافة، الحذف، الاستبدال، ليخرج من دراسة نحو الجملة ليصل إلى نحو النصّ"<sup>23</sup> فلم يهتم فان دايك بالاتساق الذي يترابط النص لغويا وخطيا وظاهريا ل اهتم كذلك باتساق النص وانسجامه، فالنظم —عبد القاهر الجرجاني" لا معنى له غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم<sup>24</sup>، ويقصد بتوحي النحو توحي تلك المعاني العقلية التي لا تخالف المنطق العقلي، ولا تخالف قواعد اللغة المتعارف عليها عند العرب وكذا القواعد النحوية التي تساهم في تحقيق انسجام النصّ واتساقه على مستوى الشكلي والدلالي.

وفي مقام آخر يؤكد الجرجاني أن الكلام لا يوصف بصحة نظمه أو فساده إلا برجوعه إلى معاني النحو وأصوله يقول: "...فلست بواحد شيئا يرجع صوابه إن كان صواباً وخطأه إن كان إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب موضعه ووضع في حقله، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل باب من أبوابه"<sup>25</sup>، وهذا ما يظهر جليا في اللسانيات النصية المعاصرة وما قالوا به هاليداي ورقية حسن عندما جعلوا الاتساق هو العنصر الأهم في الفصل بين النص واللائق، كما ذكر آنفاً.

ويضيف الجرجاني في حديثه عن فساد النظم أو غياب الكلام بعضه ببعض "... وما وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة سوء التأليف أن الفساد والخلل كانا من أن تعاط الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف أو إظهار أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ، ولا يصنع على أصول هذا العلم"<sup>26</sup>، إلا أنه لا يمكن الحكم على ناظم إلا إذا قرأنا كل ما نظم بحيث أن "معاني النحو لا تقف عند حدود الجملة، بل تتجاوزها إلى النصّ، أو مجموعة الجمل"<sup>27</sup>، فالحكم على الناظم يكون انطلاقاً من اللفظة اللغوية ككل متماسك الأجزاء.

ومن أهم خصائص النظم ترتيب الكلم يقول الجرجاني: "واعلم أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق<sup>28</sup> بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، ولجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"<sup>29</sup>، فالألفاظ لا توضع متجاوزة دون تعلّق

بعضها ببعض، وتشكل هذه الرابطة من خلال "علاقات نحوية" لا يتم بدونها كلام، ولا يفهم حديث .

زيادة على ترتيب الكلمات ونظمها على حسب ترتيب المعاني في النفس، لذلك يقول الجرجاني: "إنك ترتب المعاني أولاً في نفسك ثم تحدد على ترتيب الألفاظ في نطقك"<sup>30</sup> ونصل إل حقيقتين هما:

- أن لا نظم ولا ترتيب في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض وتجهل هذه بسبب من تلك.

- الكلم تُرتَّب في النطق وترتب المعني في النفس.

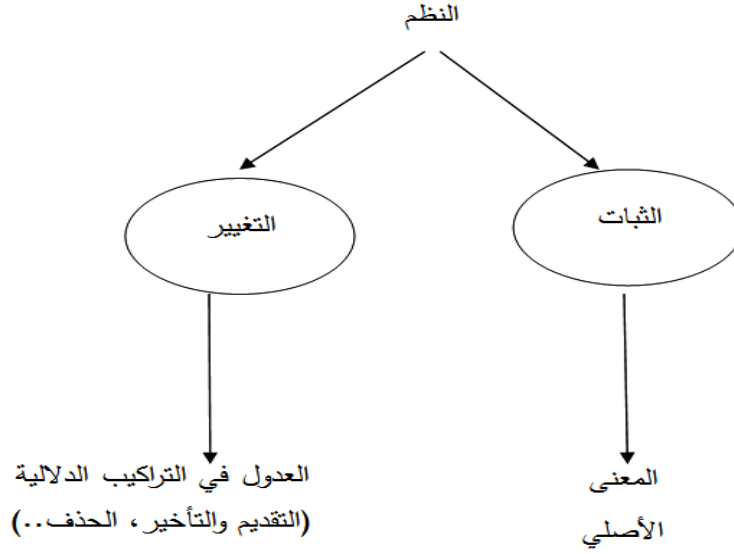
فتعليق الكلم يعد فكرة أساسية في تشكيل النصية وخلق الروابط اللازمة بين أجزاء النص ليستقيم وكما سبق وأشرنا أن التعليق يكون بين معاني الألفاظ، ولا يتم بين الألفاظ مجردة من المعاني، فالألفاظ هي أوعية المعاني، وفي هذا إشارة منه إلى ما يعرف اليوم بالمعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للألفاظ وإلى المعنى المقامي الذي يكون معهما ما يعرف بالمعنى الدلالي<sup>31</sup>.

ولعل هذا نفس ما نجده عند اللسانيين الغربيين اليوم "فهاليداي ورقية حسن" في إطار حديثهما عن الاتساق وأدواته وعلاقاته يؤكدان على توفر علاقات مات وخصائص تميز النص ككل متجانس ومتناسق مما يجعله يشكل وحدة دلالية<sup>32</sup>، فالاتساق عنصر مهم ليثبت النص نصيته، وحتى يكون النظم نظاماً.

ونصل إلى حقيقة مفادها أن للنص أدوات شكلية أم دلالية إذا خلا منها تخلخل بناؤه إذ يصبح جمالاً متراسة لا رابط يجمعها، فالنظم ووسائله عند عبد القاهر الجرجاني والاتساق ووسائله عند علماء لسانيات النص يعني خروج النص عن نصيته عند المحدثين، وسوء التأليف والنظم عند القدماء ويعود الجرجاني ليؤكد أن من أساسيات النظم وضع الكلام وفق قواعد النحو وأبوابه وأصوله "فليس هناك كلام يوصف بصحة أو فساد إلا ويرجع ذلك إلى معاني النحو وأحكامه، ويدخل في أصل من أصول النحو وباب من أبوابه، فما النظم في الحقيقة إلا توخي هذه المعاني وتعلقُ الذهن بها لكيفية المزج فيها والترتيب الذي أحكمت به، بانضمام بعضها إلى بعض"<sup>33</sup>، ومن هذه المعاني، التقديم والتأخير، الحذف، الفصل والوصل، التعريف والتنكير... الخ.

فالنحو يهدف إلى تنظيم الكلام وسلامته من سوء التأليف دون إغفال الجانب الدلالي، فغياب الجانب النحوي يؤدي بالضرورة إلى فقدان الجانب الدلالي، لذلك فالنظم يؤول إلى

الثبات والتغيير والثبات خاص بالمعنى الأصلي، أما الدلالة فتتضح من خلال العدول في التراكيب بالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير... الخ<sup>34</sup>.



ونشير إلا أنّ كل ما يربط بين أجزاء الجملة وأجزاء النص دلاليًا وشكليًا هو الذي يحقق نصيته، فلا يفيد الوقوف عند الجزئيات، بل المهم نقل دلالة مفيدة جزئيات مكتملة ومتسقة ومنسجمة ضمن شبكة من العلاقات النحوية المحكمة.

يقول الجرجاني: "إن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض، حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولها تقضي له بالحذف والأستاذية وسعة الدرع، وشدة المنة، حتى تستوفي القطع وتأتي على عدة أبيات"<sup>35</sup> فلا قيمة إذن للجزئيات إلا في اتحادها وتجانسها، وهذا ما يشير إلى "هاليداي ورقية حسن" في إشارتهما إلى "العلاقات المعنوية التي تساهم في نسج النص، فأجزاء الكلام لا تنتظم إلا باتساق فيما بينها، وفي أوضاع معينة وبوسائل وأدوات خاصة.

ويمكن تلخيص كل ما تقدم في محاولة ربط ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في قضية حبك وسبك الكلام ونظمه وما جاء به المحدثين تحت مصطلح الاتساق في قول لهذا اللغوي "إن مما هو أصل أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحدد أجزاء الكلم، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثنائها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في

النفس وضعاً واحداً وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا، في حال ما يضع بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين إلى أن يقول : واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبّرتّه إن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك لا ينبغي أكثر من أن يمنعها التفرّق... "36 ، فشرح الجرجاني معنى الاتساق في هذا النص يقترب كل الاقتراب مما قدمه المحدثون في لسانيات النص.

#### خاتمة:

حاولت هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على شخصية لغوية فذة ، ساهمت في إثراء الدراسات اللغوية بأبحاث قيمة تحولت مع الزمن الى ميدان غني للدرس والتحليل ومن خلال البحث توصلنا الى النتائج التالية:

- \_\_ ما تناوله الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " هو حقيقة قارة في الدراسات النصية فالتقاطع بين ما وصل إليه وما هو موجود في الدراسات اللسانية والنصية المعاصرة واضح جدا.
- \_\_ يشترط عبد القاهر الجرجاني أن يتحقق داخل النص التماسق والتماسك وهذا ما يتفق الى حد بعيد مع المفهوم الغربي Cohérence الإنسجام.
- \_\_ لا يتحقق التماسق والتماسك في النص إذا لم يتوفر على شبكة علائقية معقدة ومتشابهة بين اللفظ والجملة وما قبلها وما بعدها في إطار يشترط حضور النحو كعنصر أساسي لإتمام المعنى.
- \_\_ يكون ترتيب الألفاظ ترتيباً منطقياً ، فيرتب معنى كل لفظة بمعنى اللفظة التي تليها وهذا حسب ترتيب المعاني في النفس ، ثم تترجم هذه المعاني الى ألفاظ تطفو فوق النص
- \_\_ يؤكد الجرجاني على تحديد العلاقات النحوية التي تصل بين الدوال والتراكيب أي الكشف عن البنية الحقيقية والعميقة التي لا يمكن إدراكها بالجزئيات ، بل يتم ذلك في إطار شبكة علاقات تقدم النص ككل متكامل.

#### هوامش البحث:

- 1\_ جـ براون وجـ بول ، تحليل الخطاب تر: محمد لطفي زليطي ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود 1997، ص.32
- 2\_ سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص، المفاهيم والإتجاهات ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط 1 . القاهرة ، 2004، ص.20
- 3\_ المرجع نفسه ص.20

- 4\_ محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة 2005، ص. 100
- 5\_ ينظر: فان ديك \_ النص بنيات ووظائف
- 6\_ الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، تونس، المركز الثقافي العربي 1991 / ص 12
- 7\_ برنر شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، تر: محمود جاد الرب ، جامعة الملك سعود الرياض ص. 188
- 8\_ ينظر حسين سعيد البحيري، علم النص (المفاهيم والاتجاهات) ، ص 103
- 9\_ Halliday M.A.K and Ruquaya Hassan , cohesion english, London 1976 P 1, 2 نقلا عن محمد خطابي لسانيات النص، مدخل الى انسجام النص لمركز الثقافي العربي، ط 1 / الدار البيضاء 1988. ص. 4
- 10\_ ابن منظور ، لسان العرب، المجلد 10، دار صادر ، بيروت، ط 06، 1997، ص 379.
- 11\_ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 05.
- 12\_ بشير إبرير، إستراتيجية الإنسجام في قراءة النص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، ص. 3
- 13\_ لسانيات النص، محمد خطابي، مرجع سابق، ص. 12
- 14\_ ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 01، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 05، 1981، ص. 257
- 15\_ هاليداي ورقية حسن، ص 89.
- 16\_ صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي، ج 1، ص 94.
- 17\_ محمد خطابي، لسانيات النص، ص 15.
- 18\_ المرجع نفسه، ص. 15
- 19\_ ينظر : نعيمة سعدية الاتساق النصي في التراث العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر 2009 fl.univ\_biskra.dz،
- 20\_ ينظر : المرجع نفسه
- 21\_ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهد وقدم له، ياسين أيوبي المكتبة العصرية أ صيدا ، بيروت 2002 ص. 102
- 22\_ عبد القاهر الجرجاني، ص 102.
- 23\_ محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة ، سلسلة بيت الحكمة الجزائر، 2001 ص 24، 25.
- 24\_ سمية إبرير ، مفاهيم لسانيات النص-جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2011، ص 170.
- 25\_ عبد القاهر الجرجاني، ص 357 (ط 2002).
- 26\_ عبد القاهر الجرجاني \_ دلائل الإعجاز \_ ص 127.
- 27\_ لمصدر نفسه ، ص 129

- 28\_ محمود أحمد نخلة، علم المعاني، دار العلوم العربية ، بيروت- لبنان، ط01، 1990، ص34.
- 29\_ دلائل الإعجاز ، ص54.
- 30\_ نفسه، ص. 416.
- 31\_ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية ، الشركة المصرية العلمية للنشر، لونغمان، ط1997، ص12.
- 32\_ ينظر: هاليداي ورقية حسن، ص45.
- 33\_ دلائل الإعجاز ، ص134، 133.
- 34\_ ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص، ص.
- 35\_ دلائل الإعجاز ، ص137.
- 36\_ عبد القاهر الجرجاني \_دلائل الإعجاز\_ ص202.